

"في التسليم القرآني"

جماليات البيان في تفسير (من هدى القرآن) الكناية مثلاً

**Aesthetics in From the Guidance of Quran
Metonymy as a Nonpareil**

م.م. خالد عبد النبي عيدان الأسدي

Asst. Lectur. Khalid `Abidalnabi `Aedan Al-Asady

العراق / جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية / قسم الفقه وأصوله
Iraq/ University of Karbala/ College of Islamic Sciences/ Dept
of Jurisprudence and Its Origins

khalid.a@uokerbala.edu.iq

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي
Turnitin - passed research

الملخص:

الحمد لله الذي خلق كل شيء، وجعل لكل شيء سبباً وقدرًا، والصلاة والسلام على خيرته من خلقه محمد بن عبد الله وعلى آله الغر الميامين الطيبين الطاهرين. وبعد.

أجال العلماء أفكارهم في كتاب الله تعالى منذ نزوله وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فوجدوا فيه ضالتهم في كل شيء، فنهلوا من علومه ما نهلوا ووردوا من معينه ما وردوا، فهو تبيان لكل شيء، فأثرى كتب العلم والمعرفة من غزير علومه من معانٍ وبيانٍ ومعرفة، ومن هذه الكتب التي اختصت بتفسير كتاب الله المنزل؛ تفسير (من هدى القرآن) للسيد محمد تقي المدرسي وهو من الكتب القيّمة والتفاسير الغزيرة بالمعارف، فاخترنا من بين لآلئ البلاغة لأولؤة كامنة في علم البيان، أثرت في إيصال المقاصد، ألا وهي (الكناية)، وهو موضوع ثري في هذا التفسير، فجاء العنوان (جماليات البيان في تفسير من هدى القرآن - الكناية مثلاً -) فدرسنا فيه الكنايات الواردة في تفسير الآيات المباركة بطريقة الاستقراء والتحليل فجاء البحث وفقاً لتقسيمات أرباب البلاغة، فقد درسنا فيه الكناية عن الاسم والكناية عن الصفة والكناية عن النسبة وختم البحث بخاتمة فيها أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، ومن ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

والحمد لله رب العالمين

Abstract

Praise be to Allah who create everything, and make everything a cause and a capacity, and prayer and peace on the best of the creation of Muhammad Ibn Abdullah and his immaculate progeny.

The scholars delve into the thoughts in the Book of Allah since its revelation to the moment. So they learn from its knowledge. As one of most important interpretation of the Glorious Quran is From the Guidance of Quran and tends to a valuable book and rich in knowledge. The article studies the meanings in the verses under the lens of analysis and focuses on rhetoric and metaphor and its patterns; name, status and title. Ultimately the study concludes with specific findings and results.

المقدمة:

الحمد لله الذي منَّ علينا بالعافية والأمل، وأنار قلوبنا بخير العمل، والذي خضع له جبروت المخلوقات، وفتق بقدرته جميع الكائنات، محجوبة عن الابصار رؤيته، وقربت من العقول هيئته، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي بلغ من المقام الأعلى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ﴿النجم/ ٩﴾، حبيبه ونجيبه محمد بن عبد الله وآله السبع المثاني وخير خلق الله من القاضي والداني حفظة علم الله ومخزون كتابه، ومصداق لبابه الذي لا يُردُّ من لجأ إليه. وبعد.

الذي يلج إلى البحر الزخار والفيض المدرار كتاب الله المجيد ليحني منه ما يريد، يجد ما يطلبه وما لا يطلبه، مما يجدو به الأمر إلى الطمع في جواهره الكريمة، ولآلئه العجيبة، ويبقى كدلو البئر لا يشبع من ماء البئر ما دام الماء لا ينضب، وكما قال الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: ((آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزينة ينبغي لك أن تنظر ما فيها))، وقد أجال العلماء فيه الفكر، وقطفوا منه بعض الدرر، كلُّ على قدره وطاقته، وتفسير (من هدى القرآن) أحد هذه القطوف الدانية التي حواها السيد محمد تقي المدرسي من كتاب الله الكريم، ووجدت فيه من البلاغة في أقوال السيد المدرسي الكثير، واخترت منها في هذا البحث موضوع جمالية الكناية، التي لا يخلو منها كتاب ألف في علم البلاغة، فوجدت في التفسير كثيرا من المواضيع التي يُشير إليها السيد المدرسي بأنها ذُكرت كناية، واخترت الخطة للبحث على منوال كتب البلاغة التي قسمت فن الكناية إلى (كناية عن موصوف، كناية عن صفة، كناية عن نسبة) وانتهى البحث في خاتمة أشارت إلى أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

الكناية

حدّها، ألوانها، تطبيقاتها

الكناية لون من ألوان علم البيان البلاغي، وهي ضرب من الإبداع الكلامي الذي يزيد الكلام جمالا، ولها أهداف ومقاصد خاصة تميزها من الأساليب الأخرى من علم البيان، والإتيان بها دون التصريح لغرض ما، كأن يكون عدم إرادة التجريح، أو خوفاً أو للتسلية، أو للتقريع، أو للتهكم أو غير ذلك.

فالكناية في اللغة: قال الخليل (ت ١٧٥هـ): ((والاكنان ما أضمرت في ضميرك قال الله عز وجل ﴿أَكْنُتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ ﴿البقرة/ ٢٣٥﴾ والاكنان إخفاء الشيء بالشيء))^١، في حين يرى ابن فارس ت (٣٩٥هـ) أنها ترادف التورية في المعنى، فيقول: الكناية هي ((التورية عن الاسم بغيره، وكنيت عن كذا اذا تكلمت بغيره، وكنى عن الأمر بغيره يكنى كناية، يعني اذا تكلم بغيره مما يستدل عليه))^٢، وإلى هذا المعنى ذهب ابن منظور في اللسان؛ إذ يرى أنّ الكناية تعني: أن تتكلم بشيء وتريد شيئاً آخر، وكنى عن الأمر بغيره يكنى كناية، يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه نحو الرفث والغائظ، وتكنى: تستر من كنى عنه إذا ورى، أو من الكنية^٣.

في حين أنّ التورية شيء والكناية شيء آخر، ولعلّ الخليل قد تنبه إلى ذلك إذ عزلها عن التورية وفسرها تفسيراً مختصراً مجملاً من دون الإطناب فيها، فالتورية تضمّر شيئاً وتُظهر آخر مما يستدعي ذلك أيراد معنى ثانٍ للمتلقى، فينصرف ذهنه عن المعنى الأصلي، ولكن الكناية ليس كذلك؛ إذ هي الإضمار دون الإظهار، والمُكنى: هو الشخص المختفي خلف الكنية ولا ينصرف معنى ذاته إلى معنى آخر.

الكناية في الاصطلاح: أعطى البلاغيون بحث الكناية مكاناً بارزاً في البيان العربي، بوصفها ركناً مهماً من أركان البلاغة العربية لما له من دور في صقل الذوق العربي وإظهاره بهيئة تضيف عليه رونقاً وجمالاً ((فالكناية ضرورة تعبيرية، للتعبير

عمّا لا يراد إظهاره للناس كرهاً لنبوه عن الذوق، أو لما فيه من كشف عن غير مستحب كشفه، أو محاولة للتأق والإغراب في التعبير))^٤ وقد كان فن الكناية مورداً من موارد التهافت الإنساني والامتداد الحضاري والبيئي، إذ لم يكن التصريح الطريقة الوحيدة في الاتصال أو التكيف الاجتماعي أو النفسي أو الوجداني في فنون التعبير في البلاغة العربية^٥.

وكان ابن عباس (ت ٦٨هـ) في طليعة المفسرين الذين أشاروا إلى عدد من الكنايات في القرآن الكريم، ففي قوله تعالى: ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ﴾^٦ البقرة: ١٨٧، قال: ((المباشرة الجماع ولكن الله يكني ما شاء بما شاء))^٦.

ولم يفت الأوائل ممن ألفوا في مجال القرآن الإشارة إلى أسلوب الكناية في مؤلفاتهم، على الرغم من أنّها كانت ترد عندهم بالمعنى العام للمصطلح وهو الستر والإخفاء، ففي قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾^٧ الشمس: ٣، قال الفراء: ((جلى الظلمة، مجاز كناية عن الظلمة ولم تذكر لأن معناها معروف))^٧.

كذلك نجد أنّ أبا عبيدة ينص على الكناية في أكثر من موضع، والفعل كنى يستعمله بمعناه اللغوي أي أخفي وأضمر وقد نجده يستعمل اللفظ كناية، وكنى في معنى الضمير^٨.

وهذا الاستعمال العام للمصطلح نجده أيضاً عند أبي عمرو الجاحظ فهي عنده تقابل التصريح إذ يقول: ((رب كناية تربي على إفصاح ولحظ يدل على ضمير))^٩، بيد أنّه قرن الكناية بالتعريض مشيراً إليهما في قوله: ((إذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل، وإذا قالوا للعامل مستقص، فتلك كناية عن الجور))^{١٠}.

وذكر ابن المعتز الكناية والتعريض في باب واحد، لكنّه لم يذكر لهما حداً يميزهما بل جعلهما من محاسن الكلام^{١١}.

واستمر اقتران الكناية والتعريض عند البلاغيين، إذ بحثهما قدامة بن جعفر تحت عنوان (اللحن) وهي عنده ((التعريض بالشيء من غير تصريح أو الكناية عنه

بغيره))^{١٢}، وقد تنبه الزمخشري إلى الفرق بين الكناية والتعريض بقوله: ((فإن قلت: أي فرق بين الكناية والتعريض؟ قلت: الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له، كقولك طويل النجاد لطويل القامة، وكثير الرماد، للمضياف، والتعريض أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئتكم لأسلم عليكم، ولأنظر إلى وجهك الكريم، وكأنه يلوح منه ما يريد))^{١٣}، في حين إنه اقترب من مفهوم المجاز الذي تكون الألفاظ فيه مستعملة لغير ما وضعت له، وهذا الاقتراب أبعد السكّاني في حدّه للكناية بانها ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك، وفي حدّه هذا يكون قد ميز بين الكناية والمجاز إذ إنّ الكناية هي انتقال من اللازم إلى الملزوم، بعكس المجاز الذي هو انتقال من الملزوم إلى اللازم^{١٤}، وتبعه في ذلك الخطيب القزويني، إذ ميّز بين الكناية والمجاز في حدّه للكناية في كونها ((لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ))^{١٥}، ذلك أن المجاز في إرادة المعنى من غير تأويل؛ لأنّه ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة، وتبعه في ذلك شراح التلخيص^{١٦}. في حين أن جانب المحدثين قد ميّز بين الكناية والتعريض فاصلاً بينهما، فيقول الدكتور بشير كحيل إن ((الاعتراض لا معنى له إذا افترضنا أن مفهوم الكناية قد أصبح مترسخاً، ونظن أنه سيكون من نافلة القول أن يستمر الترخيص على ذلك))^{١٧}، ويرى السيد السبزواري أن:

((الكنايات من أهم شؤون الفصاحة والبلاغة))^{١٨}، ويعدّ الكناية أبلغ من التصريح والقرآن العظيم مشتمل على انحاء الكنايات والاستعارات والتشبيهات البليغة^{١٩}، وهي عنده من المحكمات لا المتشابهات إذا دلّت قرينة على ذلك، وهو يستدل تارة بالحديث الشريف لإثبات وجود الكناية في القرآن الكريم.

ومما تقدم نجد: أن الكناية في الاصطلاح لا تبعد كثيراً عن معناها اللغوي فهي الاستتار خلف اللفظ المذكور لتقريب المعنى أو للتهكم أو الاستهجان أو إعلاء

من مكانة المكنى، فهي طريقة وأسلوب عقلي يُثير المتلقي، ويستجلب انتباهه إلى المقصود من خلال التوصل إلى المعنى المكنى عنه من طريق سلسلة من الارتباطات الذهنية المعنوية التي يكشفها الذهن الناضج والقريحة الصافية، ولها في القرآن الكريم وظائف متعددة، إذ ((تقوم الكناية القرآنية بنصبيها كاملاً في أداء المعاني وتصويرها خير أداء وتصوير، وهي حيناً راسمة مصوّرة موحية وحيناً مؤدبة موجزة تنقل المعنى وافياً في لفظ قليل ولا تستطيع الحقيقة أن تؤدي المعنى كما أدته الكناية))^{٢٠}. كما أن للكناية القرآنية أثرها النفسي في المتلقي فقد ((كان القرآن الكريم حريصاً كل الحرص على إيصال مفاهيمه إلى الجميع دون جرح العواطف أو خدش المشاعر أو اشمئزاز النفوس وكان الطريق إلى ذلك هو الكناية بما تمتلك من قدرة على التعبير الموحى والمهذب بوقت واحد))^{٢١}.

ولم أجد تعريفاً للكناية في تفسير من هدى القرآن، لكن الكناية كانت حاضرة في ألوانها حضوراً كبيراً كما سنوردها بشيء من التفصيل إن شاء الله تعالى.

ألوان الكناية:

١- الكناية عن الموصوف: تعني الكناية في هذا المضمار؛ ذكر صفة أو مجموعة من الصفات للدلالة على موصوف معين أو تكون دالة عليه^{٢٢}، وربما تحسب بمنزلة القرينة الدالة على الموصوف، ومن الكناية عن الموصوف التي وردت في تفسير من هدى القرآن، ما ذكر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكأً وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أُخْرِجْ عَلَيْهِنَّ﴾ ﴿يوسف/ ٣١﴾، يقول السيد المدرسي: ((أما المتكأ: فهو الوسادة وهي كناية عن المائدة أو لا أقل المجلس الطويل الذي يستراح إليه، وتدل الآية على وجود شيء يؤكل ويهياً قبل الأكل بالسكين ﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أُخْرِجْ عَلَيْهِنَّ﴾ وهكذا خرج يوسف على النسوة في وقت انشغالهن عنه بالطعام))^{٢٣}، فقد

علل السيد المدرسي سبب مجيء الكناية بدلاً من اللفظ المباشر وهو المجلس الطويل، وهذا يدل على أن المتكأ رمز للجلوس مدة طويلة، لأن الإنسان لا يحتاج إلى الوسادة في جلوسه مدة قصيرة، وهذا عرف اجتماعي وارد في كل زمان ومكان.

ومن الكناية ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ ﴿ص/ ٣٤﴾، يقول السيد المدرسي: جسدًا ((كناية عن الابن الميت، وكان يتمنى أن يجلس على كرسيه ولد يحكم بعده، فتأثر بعض الشيء لذلك، ولكنه فكر في نفسه ورجع إلى ربه))^{٢٤}، وبهذا فرّق السيد المدرسي بين الجسد وبين الجسم، فالجسد هو ما كان ميتاً ساكناً لا حراك فيه، في حين إنّ الجسم في الاستعمال القرآني جاء مع البدن الذي فيه روح، كما في قوله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ ﴿البقرة/ ٢٤٧﴾، في وصفه لطالوت، وطالوت كان على قيد الحياة، فقد تنبه السيد المدرسي لهذا اللفظ وبيّن العلة من ذكر (جسدًا).

ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ ﴿المدرثر/ ٨﴾، يقول السيد المدرسي: ((ولا ريب أن النفخة التي يعقبها الحساب أعسر من الأخرى التي تُميت الناس فقط. وقد يكون التعبير مجازياً أيضاً، بحيث يصير النقر في الناقور كناية عن يوم الانتقام كما نقول قُرِعَتْ طبول الحرب.))^{٢٥}، إذ جاء بالكناية على سبيل الاحتمال، ولكنه عبّر عن اختيار اللفظ بتعبير غاية في الروعة، وكان تحليله ينم بمخزون بلاغي كبير، وقد شبهها في قرع طبول الحرب رغم أن القرع يختلف عن النقر، فالنقر يكون بشكل مدبب على سطح مستوٍ أو شبه مستوٍ ويكون لمرات قليلة كما نقول: نقر الطير الخشبية، أمّا القرع؛ فهو ما كان بواسطة قضيب مستطيل على شيء مُسطّح أو مستوٍ، ويكون بمرات عديدة، وقد شبه السيد المدرسي النقر بالقرع لتقريب المعنى وليس بمعنى الترادف.

ومنها ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾

وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾
 ﴿المدرثر / ٣١﴾، يقول السيد المدرسي: ((والكتاب هنا كناية عن العلم الذي يسطر فيه. وإنما يستيقنون لأن ما طرحه الآية يكشف لهم عن حقيقة جديدة من الغيب تزيدهم إيماناً باعتبار كل حقيقة من الغيب يؤمنون بها يرتفعون بها درجة في معراج اليقين))^{٢٦}، فقد وضح السيد المدرسي الغرض من مجيء الكناية بدلا من التصريح مباشرة وهو الارتفاع في معارج اليقين، وهذا الارتفاع لم يكن مادياً وإنما معنوي أفصح عنه السياق المقامي للآية المباركة.

وكذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ ﴿الإنسان/ ٥﴾، يقول السيد المدرسي: ((وقوله ﴿مِنْ كَأْسٍ﴾ كناية عما في الكأس من الشراب))^{٢٧}، لم يوضح السيد المدرسي ما هو الشراب ولكن كلامه دار حول الراحة والبرد وسكون الجسم بسبب الشراب، وهل هذا الشراب هو ماء أم غيره ؟، السياق في الآية المباركة لم يفصح عن ذلك وإنما أفصح عن مزاجه وهو (الكافور) الذي يمتاز بالبرودة وتسكينه للعطش، ولما يمتزج مع شراب يكون أنفع للجسم.

ومما جاءت فيه الكناية قوله تعالى: ﴿مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ ﴿الإنسان/ ١٣﴾، يقول السيد المدرسي: ((والشمس كناية عن الحر، أما الزمهرير فهو البرد الشديد، قال الإمام الرضا عليه السلام: ((إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يَجْرِيَانِ بِأَمْرِهِ مُطِيعَانِ لَهُ صَوْوُهُمَا مِنْ نُورِ عَرْشِهِ وَحَرُّهُمَا مِنْ جَهَنَّمَ، فَإِذَا كَانَتْ الْقِيَامَةُ عَادَ إِلَى الْعَرْشِ نُورُهُمَا وَعَادَ إِلَى النَّارِ حَرُّهُمَا فَلَا يَكُونُ شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ*))^{٢٨}، فقد استدل في تفسير هذه الآية بالرواية الشريفة الواردة من طريق الإمام الثامن الضامن علي بن موسى الرضا عليه السلام وهذا من باب تفسير

القرآن بالأثر أو بالرواية، وهو الطريق الثاني من طرق تفسير القرآن الكريم بعد تفسير القرآن بالقرآن، أمّا الكناية ههنا جاءت من طريق ذكر العام والمراد به الخاص وهو من الفنون البلاغية الرائعة يذكرها القرآن الكريم، ولهذا تنبه السيد المدرسي لهذه الكناية والغرض منها بيان أن الجنة فيها جو مكيف لا فيه برد ولا حر ولا صحب ولا نصب، وهذا تكريم للمؤمنين الذين استمعوا القول واتبعوا أحسنه، وفي هذه الآية إخبار خرج إلى الترغيب.

ومنه ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَوَاكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ﴿المرسلات/ ٤٢﴾، يرى السيد المدرسي أن ذكر الفواكه هنا أريد منه الجنة، وذلك في قوله: ((فإن الظل والعيون والفواكه المتنوعة هي أبرز معالم الجنة، وإنما ذكرها الله كناية عن الجنة، وتفصيلاً في المعنى للمزيد من التشويق والترغيب للمتقين في نعيمها))^{٢٩}، ويُنَّ السبب في ذلك وهو إخبار أريد به الترغيب، وقد ذكر جزءاً من محتويات الجنة لهذا الغرض، وهو ذكر الجزء والمراد به الكل، وهو من الفنون البلاغية الرائعة، وجاء الغرض من الكناية دون التصريح ليبعث من خلالها روح التساؤل والاستفهام عن ماهية الفواكه، وهل الفواكه هو ما في الجنة فقط؟ وقد أعان في فهم هذا؛ الإخبار بالتشويق والترغيب.

وكذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَوْسَطْنِ بِهِ جَمْعًا﴾ ﴿العاديات/ ٥﴾، يقول السيد المدرسي: ((يُقَالُ: وَسَطَتِ الْقَوْمُ أَي صَرَّتْ فِي وَسْطِهِمْ، وَالْجَمْعُ بِمَعْنَى: تَجْمَعُ الْعُدُو، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ قَلْبِ جَيْشِهِمْ، وَمَرْكَزِ قُوَّتِهِمْ، وَضَمِيرٌ بِهِ يَعُودُ إِلَى الْعُدُو أَوْ إِلَى الْمَكَانِ أَوْ الصَّبَاحِ))^{٣٠}، والغرض من الكناية هنا بيان القوة ومركزيتها ليذب في قلوب العدو الخوف، وهذا مما يحدث إرباكاً في تشكيلات العدو لأن الكناية هنا جاءت بالتلميح دون بيان العدد وهذا يبعث على كثرة التخيلات وافلات رباط الجأش الذي يتمتع به العدو، فالكناية هنا أفادت بيان القوة بالمجمل دون بيان العدد والعدة. ونكتفي بهذا القدر لئلا يكون الإسهاب مملاً، وما ذكرناه للمثال لا للحصر^{٣١}.

٢- الكناية عن الصفة:

أشار السيد المدرسي إلى هذا اللون من الكناية في تفسيره -الذي يراد به الصفة المعنوية كالشجاعة والكرم والوجود وغيرها، لا الصفة المعروفة عند النحويين التي يجعلونها نعتاً^{٣٢} وذكر لها أمثلة كثيرة، وقد أشار إلى مواطنها في النص القرآني.

ومنها ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ﴿الأنعام/ ١٦٤﴾، يقول السيد المدرسي: ((فلا يستطيع أحد أن يهدي أحداً إلا إذا أراد الآخر أن يهتدي بهداه، كما لا يستطيع أحد إضلال الآخر إلا إذا أراد هذا أن يضل بضلالته، ولكن القرآن ينفي ذلك ويقول: إن لكل عمله. ولا أحد يقدر على تحمل وزر عمك.

والآية هنا تقول: (وَازِرَةٌ) وهي اسم فاعل للمؤنث، كناية عن النفس البشرية، وهنا تتبين العلاقة بين النفس والمسؤولية العملية للإنسان.))^{٣٣}، فيرى أنها جاءت كناية عن الضعف الذي تتمتع به النفس البشرية لذلك تسيطر عليه الأوزار، فجاءت الصفة بدلا عن الاسم لبيان التوهين والضعف، وربما جاءت بصيغة الفاعل لتدل على الثبوت بالنسبة للأوزار، وهذا يدل على أن الوزر ملازم للنفس البشرية.

ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاَهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿الحج/ ٣٦﴾، يقول السيد المدرسي: ((«فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا» أي خَرَّتْ صريعة بعد نحرها، حتى

استقرَّت جنباتها على الأرض بالكامل كناية عن انتهاء حركتها.))^{٣٤}، يرى السيد المدرسي هنا الكناية عن انتهاء الحركة وسكونها بالكامل بعد نحر الذبيحة، ولكن لم قال تعالى: (جنوبها) ولم يقل: (جنباتها أو أجنابها)؟، وللذبيحة كما هو معروف؛ جنبان، والجمع يكون بالقلّة لا بالكثرة، والسيد المدرسي لما جمعها قال: (جنباتها) في حين أن القرآن الكريم جاء بالكثرة (جنوبها)، لعلّ جمعها على الكثرة جاء من باب بيان الحالة المتكررة للذبح للبهائم وهي صفتها الدائمة، ولكثرة طرحها أرضاً للذباحة جاء الجمع للكثرة، والله أعلم، والغرض هنا من الكناية بيان الوضع

للذبيحة والسبب الذي يجب توفره حتى يجل وقت الحلية.

وكذلك ما جاء في تكملة الآية المباركة فيقول السيد المدرسي في (المعتر): ((كلمة المعتر: الذي وقع في شدة البلاء والفقر ويظهر على سببها ذلك دون أن يظهره بلسانه. والكلمة مشتقة من (العر) وهو مرض الجرب يصيب جلد البعير، وكان المعتر قد أصاب وجهه مرض فسقط جلده كناية عن ذهاب ماء وجهه بسبب ما يظهر عليه من ضعف الحال. وجاء في رواية أن المعتر هو الذي يعتريك ولا يسأل)).^{٣٥} فقد رأى السيد المدرسي أن الغرض هنا من الكناية هو بيان الخضوع والتذلل من خلال إراقة ماء وجه السائل، ويبدو أن الاعتراء يعني الملازمة في الصفة العامة له كما يقال: لي شيطان يعتريني، ولي قرين يعتريني، وفلان يعتريني في سفري، وكلها يجمعها معنى الملازمة، وهذا من باب وحدة المفهوم وتعدد المصداق، فمفهومها الملازمة، وسياقها يحدد المصداق لها.

ومنه ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ﴾ ﴿المؤمنون/ ٦٦﴾، يقول السيد المدرسي: ((إن الآيات القرآنية وهي وقود الانطلاق والتقدم، يفترض أنها تدفع الإنسان نحو الأمام، أما إذا كان قلبه مطبوعاً بالتخلف والانحراف فهي لا تنفع معه أبداً، بل تزيده طغياناً وكفراً، والنكوص على الأعقاب، كناية عن المشي القهقري)).^{٣٦} فالسيد المدرسي يبين التأثير العكسي الذي تَوَثَّرَه الآيات القرآنية في الذين في قلوبهم مرض، فهم لا ينتفعون بها، وهنا الكناية جاءت لغرض بيان الضدية بالفعل، ولعلمهم ينكصون على أعقابهم بسبب ضرب مصالحهم في آيات الله تعالى، وإلا لما كانت تؤثر بهم تأثيراً ضدياً، ورُبما جاءت تنكصون لبيان إذلالهم وخذلانهم ورجوعهم عن الحق، وهذه صفة الذي يرى أنه فعله لا يزيده إلا رجوعاً فهو يُنكص رأسه إلى الأرض، فكانت كلمة (تنكصون) غاية في بيان حال هؤلاء الذين لا ينتفعون بآيات القرآن الكريم.

ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا

نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ السجدة/ ١٤ ، يقول السيد المدرسي: ((فلا ينصرهم الله ولا يرحمهم، وليس النسيان هنا بمعنى عدم العلم، بل عدم العمل بما يقتضيه العلم، وهو كناية عن الإهمال وعدم الالتفات لهم بعين الرحمة مما يعني أن مآلهم النار. والمعنى هاهنا خلاف لمعنى النسيان عند البشر كسائر الكلمات، مثلاً الغضب بالنسبة للإنسان يعني وجود حالة من الغليان في نفسه، بينما يعني بالنسبة إلى الله النتيجة المترتبة على الغضب كالعذاب، ذلك أنه تعالى تصدق عليه الغايات دون المبادئ))^{٣٧}، فالسيد المدرسي هنا يبيِّن اعتقاداً يعتقد به في تفسيره لهذه الآية المباركة؛ وهو أن الكلمة لا تتجرد عن سياقها في تأدية معناها وهذا من باب الوحدة الشمولية للآيات المباركة، كما أسماها أحد الباحثين المحدثين بـ(منهج المدونة المغلقة) وهو منهج يضع اللبنة التأسيسية لمفهوم تفسير القرآن بالقرآن^{٣٨}، وهذا المنهج يحلُّ كثيراً من القضايا التأويلية والمجازية التي كانت تعرف فيما مضى عند المفسرين، فالنسيان هنا جاء بعدم الاكتراث لا عدم العلم، وهذه الالتفات منه جداً رائعة والباحث يوافقه في هذا المضمار بعدم سلخ المفردات القرآنية من سياقها والمبادرة إلى تفسيرها في سياقها الذي جاءت فيه.

من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثَحَّتْمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ﴾ ﴿٤﴾ محمد/ ٤ ، ﴿فَشُدُّوا الْوَتَاقَ﴾ أي قيدوهم بحبل أو ما أشبه بشدة كناية عن أسرهم. ويستوحى من الآية أن مرحلة أخذ الأسرى متأخرة عن مرحلة القتال، فلا ينبغي أن ينشغل الجيش قبل قهر عدوه بالأسرى))^{٣٩}، فقد رأى السيد المدرسي صفة القوة في الشد أدت معنى الأسر من دون أن تُطلب الآية المباركة في ذكر الأسر وكيفية، فلم تقل الآية: بعد قتالكم وأسركم للجنود شدُّوا وثاقهم، والكناية ههنا أبلغ من الإسهاب وقد أدت المعنى بالكامل، وهذا ما فهم من سياق الآية المباركة.

ومنها ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُرْ

لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿﴾ الممتحنة/ ٥ ﴿﴾، يقول السيد المدرسي: ((ولكن لا يعني ذلك ألا يسأل المؤمنون ربهم السلامة ﴿﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿﴾ أي موضع ابتلائك لهم، كناية عن أذاهم للمؤمنين، فإنهم إذا تمكن الكفار منهم عذبوهم، وأظهروا تجاههم عداوتهم للحق، كما صنع الظلمة بأصحاب الأخدود))^{٤١}، وصفة الأذى واضحة جلية في نفوس الكفار وإذا ظفروا بالمسلمين جعلوا أعزتهم أذلة، لذا تنبه السيد المدرسي لهذه الصفة ومدى وقعها في نفوس الكفرة، لذا أوردتها هنا في سبيل الكناية التي أشارت إليها الآية المباركة، وتحديد لها ينم بالحس البلاغي الذي يتمتع به، وقد استفاد منه في تفسيره للوصول من خلاله إلى معان ومقاصد عدة في كتاب الله المجيد.

ومنها ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿﴾ أَلَمْ تَمَنَّ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿﴾ الملك/ ١٦ ﴿﴾، يقول السيد المدرسي في سبيل الاحتمال: ((مَنْ فِي السَّمَاءِ)) محمول على أحد وجوه ثلاثة: فإما هو كناية عن تعاليه سبحانه، وإما لأن في السماء عرشه الذي تصدر منه أوامره عز وجل، وإما يكون إشارة إلى الملائكة التي تنفذ أمر الله ومشيئته في الحياة))^{٤٢}، فأحد الاحتمالات كان عن صفة التعالي لله تعالى وفي هذا الموضوع نرى اسقاطات العقيدة واضحة في تفسيره إذ إنه يعتقد أن الله تعالى لا حد له ولا جهة ولا موضع يحويه وهذه هي عقيدة الشيعة الإمامية التي أخذوها من أمير البلاغة والكلام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في وصفه لله وتوحيده إذ يقول: ((فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جزأه فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه))^{٤٣}، لذلك جعل أحد الاحتمالات هو كناية عن صفة التعالي، أمّا الاحتمال الآخر؛ جعله كناية عن الموصوف لكن ليس عن الله وإنها عن العرش، وهذا أيضا كسابقه ينفي الجهة لله تعالى، أمّا الاحتمال الثالث

فهو ضعيف، لأنَّ الاسم الوصول يُشير إلى الافراد، والملائكة جمع، فلو قال تعالى: الذين في السماء؛ لكان الاحتمال للملائكة وارداً، فالاحتمال الأول أقرب للسياق من الاحتمالين الآخرين.

وكذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُنَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْيِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا نُيُوبَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ ﴿نوح/ ٧﴾، يقول السيد المدرسي: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ كناية عن الحجب التي تمنعهم عن سماع الدعوة والاستجابة لها، وربما كان بعضهم يضعها بالفعل. ((٤٣، وهنا تساؤل: لماذا يضعون أصابعهم في آذانهم عند سماع الدعوة؟ فلم لا يمرون عليها مرور الكرام؟ هذا يكف مدى تأثير الأنبياء ﷺ في أممهم، لذا لا يستطيعون سماع الحق لأنَّ الفطرة السليمة إلى الحق أميل، فالأنبياء يُخاطبون النفس والفطرة والروح الحقيقية في داخل الإنسان فيستميلون الناس إليهم لأنهم يحاكون الوجدان، وهذا ما أدَّى بالذين يسمعون كلامهم الذي يتعارض ومصالحهم؛ أن يضعوا أصابعهم في آذانهم، ولننظر إلى دقة اللفظ القرآني فلم يقل: أناملهم وإنما قال: أصابعهم، وهذا دليل على أنَّهم يقومون بإدخال أصابعهم في آذانهم وليس الأنامل فقط، وقال: يجعلون، ولم يقل يضعون، والجعل ما كان ثابتاً راسخاً، وهذا المعنى لا يؤديه الفعل: يضعون، لأنَّ الوضع يفيد الملاصقة أو إدخال ظرف من الأصابع في الأذن، والمراد الاصبع، لأنَّهم يُصعقون بسماعهم الحق.

ومن موارد الكناية عن الصفة ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا﴾ ﴿المذثر/ ١٧﴾، يقول السيد المدرسي: ((أي سأجعله يتكلف الصعود حتى يرهق إرهاقا شديداً، والصعود كناية عن المشقة)) ((٤٤، استنبط السيد المدرسي المعنى من كلمة (صعوداً)؛ لأنَّ الصعود يحتاج إلى جهد كبير ومشقة عالية، وفي ذلك يرهق الإنسان في الصعود، وهذا ليس في الماديات فحسب أي: ليس في صعود الجبل وإنما أي ارتقاء يحتاج إلى جهد وتفانٍ ومثابرة وجدية للوصول إلى المراتب العليا،

والآية المباركة هنا جاءت بوحدة الدلالة وتعدد التمثلات، فالصعود وهو الارتقاء والوصول إلى القمة؛ سواء كان ارتقاء الجبل أو ارتقاء سلم أو ارتقاء مراتب العلم أو ارتقاء درجات الابداع كلها تحتاج إلى تفانٍ وجهدٍ ومشقةٍ وعملٍ دؤوبٍ للوصول إلى المرام، وهذه التمثلات يجمعهن المفهوم الواحد أو الدلالة الواحدة وهو الارتقاء، وهذا ما أشارت إليه الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ﴿آل عمران/ ٩٢﴾، فلم يكن الانفاق بالمال فقط بل يجب عليك أن تنفق من وقتك وراحتك ومالك وعلمك، فالإنفاق عام وتمثلاته متعددة، فتنبه السيد المدرسي إلى ذلك من خلال تفسيره إلى هذه الآية المباركة في كلمة (صعوداً).

وغير ما ذكرناه كثير في تفسير من هدى القرآن، من لون الكناية في الصفة، وما ذكرناه للتمثيل لا للحصر، فلا نريد الإسهاب في البحث بقدر حرصنا على حصول الفائدة^{٤٥}.

٣. الكناية عن النسبة:

يُقصد بالكناية عن النسبة هو تخصيص الصفة بالموصوف، أو إثبات أمر لأمر آخر، أو نفيه^{٤٦}، وأشار السيد المدرسي إلى هذا اللون من الكناية في تفسيره وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ ﴿القصص/ ٢٤﴾، يقول السيد المدرسي: ((لقد كان موسى يتصور جوعاً، ويعاني من الغربة، ولا يعرف إلى أين ينتهي به الأمر، ولكنه لم يشك إلى الله ذلك، بل ذكر نعمه السابقة، وقال إنني أفقر إلى ذلك الخير. وهذا من أفضل أساليب الدعاء، إذ يتضمن كناية أبلغ من التشبيه، ونظرة إيجابية. فبدل أن يقول أحدنا: إن عيني تؤلمني فشافها يا رب، ليقول إن عيني كانت سليمة سابقاً، وإني اليوم لفي حاجة لأن أكون مثل الماضي. إذ من آداب الدعاء أن يبدأ العبد بحمد الله، والثناء عليه))^{٤٧}، فتحليل السيد المدرسي لمكونات الآية المباركة في غاية الروعة، وهذا في أساليب

البلاغة يُسمَّى بـ (ذكر الشيء والمراد به ضده) وهو من الأساليب البديعية الراقية، والآية المباركة أكبر من أن توصف بالجمال، فلا يجوز لأحد أن يقيس الآية بمقياس الجمال، يجب أن يُقاس الجمال إلى الآيات المباركة فهي أكبر من الفنون بما لا يحتمله العقل، لكن كلامنا في تفسير السيد المدرسي وتحليله لهذه الآية ولم يكن حكمنا على الآية المباركة [معاذ الله]، فنحن أضلُّ من أن ننسب بينت شفة للحكم على كتاب الله، فهو الكتاب الكامل الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿فصلت/ ٤٢﴾ .

ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿ص/ ١٧﴾، يقول السيد المدرسي: ((اليد: القوة، وداود يملك أسباب القوة وعواملها فهو قوي من جهة فعبّر عنه القرآن بذي الأيدي، واليد كناية عن القوة والقدرة، وهو من جهة أخرى مؤمن وعلامة إيمانه التوبة))^{٤٨}، يبدو أنّها من باب التمثّل المتعدد، كما ذكرنا أن الألفاظ القرآنية أكثرها جاءت بوحدة مفهوم (وحدة الدلالة) وتعدد المصداق (تعدد التمثّلات)، ولعلّ الأيدي من مصاديقها القوة والقدرة، ومن مصاديقها أيضاً اليد الجارحة، ومن مصاديقها السيطرة وغيرها من المصاديق أو التمثّلات، وإذا ما فتحنا هذا الباب في دراسة الالفاظ القرآنية؛ سنجد كثيراً من الفنون البلاغية تتلاشى وتبيّن أن اللفظ أراد الحقيقة ولم يخرج إلى المجاز، لذلك نسأل الله التوفيق لدراستها.

من الفنون الكنائية عن نسبة ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيٍّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ ﴿ص/ ٧٥﴾، يقول السيد المدرسي: ((التفسير الأقرب للسياق - في نظري - أنها القدرة، لأنه سبحانه لا يملك يمينا ولا شمالا. وفي حديث عن الإمام الرضا عليه السلام: (يَعْنِي بُقْدَرَتِي وَقُوَّتِي). وتعبر اليدين كناية عن تمام القوة والقدرة التي تجلّت في خلق آدم فلاستكبار وقع على شيء صنعته القدرة الإلهية))^{٤٩}، وهذا ما يُسمّى بالتفسير الروائي، إذ إنّ السيد المدرسي فسر اليد بالقوة والقدرة بناءً على ما جاء في كلام الإمام الرضا عليه السلام، وعند الإمامية هذا

من أروع مناهج التفسير بل يأتي بالمرحلة الثانية بعد تفسير القرآن بالقرآن، لأنه صادر من عدل القرآن الكريم وهم مصداق للقرآن الناطق والدليل الصادق ولا يكلمون الناس إلا بما أودعه رسول الله ﷺ عندهم من علوم، وغرض مجيء الكناية هنا للتوكيد والزجر، لأن امتناع إبليس عن السجود استوجب الزجر، وأمر الله استوجب التأكيد لبيان الأمر الحقيقي الصادر من الله إلى العباد آنذاك (الملائكة وإبليس).

وكذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ ﴿ محمد/ ٤ ﴾، يقول السيد المدرسي: ((الوزر هو الثقل، والحرب ثقيلة على الأمة بما فيها من مشاكل، كما أن ساحات القتال تشهد الأسلحة والأدوات والأجهزة القتالية وإذا توقف القتال أعيدت كلياً إلى المخازن، وهذه كناية عن توقف الحرب))، ربما أرادت الآية ما تركه الحرب في النفوس من ثقل وأذية وفقد الأحبة فجاءت بكلمة الوزر، والسيد المدرسي في هذه الآية المباركة جعل من السياق بأكمله كناية عن توقف الحرب وليس بكلمة واحدة كما في مواضع الكناية التي ذكرناها سابقاً، وهذا يستدعي قراءة شمولية للآية المباركة وليست لكلمة واحدة، لذلك لا تكون كلمة الوزر كناية بل يجب أن تُقرأ في السياق وتُحدد.

ومنها ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ ﴾ ﴿ الواقعة/ ٤١ ﴾، يقول السيد المدرسي: ((الشمال كناية عن الشؤم، وهذا المعنى واضح إذا فسرنا الكلمة هنا بالآية التاسعة، فهذا الفريق هم المعنيون بالمشامة، ومع أنهم يُعطون كتابهم بشاهم ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ ﴾ ﴿ الحاقة: ٢٥ ﴾، إلا أن القرآن لا يسميهم بأصحاب اليسار، لأنها مأخوذة من اليسر تفاعلاً كالمفازة للصحراء، ذلك أن قوة الإنسان في يمينه، ويستخدمها بيسر وسهولة، في حين يواجه حرجاً وعسراً في أعمال شماله، فقليل يسار رجاء اليسر. ونستوحي من ذلك أن سيرة المتقين والمؤمنين هي المسيرة الطبيعية التي تنسجم مع واقع الإنسان والحياة، وأن مسيرة أهل النار هي الشذوذ عن مسيرة الخليقة))،^{١٥}

نرى في هذه الآية المباركة يحاول السيد المدرسي أن يقارب بين التفسير اللغوي وتفسير القرآن بالقرآن، فتارة يبين المعنى من خلال اللغة والسياق بأية أخرى، وقد حاول أخرى بربط الآية في الواقع الاجتماعي، ولعل إطلاق اسم أصحاب الشمال على اهل النار أو بما سيؤولون إليها في يوم القيامة، هو أن النار تقع على شمال الصراط المستقيم والجنة على يمينه، وهذا ليس قطعياً وإنما حسب قراءة السياق والله أعلم.

ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ﴿القلم/ ٤٢﴾، يقول السيد المدرسي في أحد احتمالات معنى الساق: ((وقد يكون الكشف عن الساق كناية عن أنه يوم الجد والشدة، وفي المجمع عن القتيبي: أصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجد فيه يشمر عن ساقه، فاستعير الكشف عن الساق في موضع الشدة تقول العرب: قامت الحرب على ساق، وكشفت عن ساق، يريدون شدتها))^{٥٢}، وربما أريد منه الاستعداد لرؤية المصير، والسياق في الآية الكريمة يُبين أن الهول الذي يحل بهؤلاء يسلبهم الاستطاعة من السجود، ومن الممكن أن يكون بمعنى الأصل بإزالة الغطاء كما نقول كشفنا ساق الشجرة أي أزلنا عنه اللحاء الذي كان يُغطيها، وكل هذه المعاني واردة لأن المفردة القرآنية - كما ذكرنا سابقاً - نعتقد بأنها جاءت بوحدة مفهوم (دلالة عامة) وتعدد مصاديقها (تمثلات متعددة).

ولا نريد الإسهاب في هذا الموضوع، ونكتفي بهذا القدر من الكناية وجمالياتها في تفسير (من هدى القرآن) للسيد محمد تقي المدرسي، وما ذكرناه للمثال وليس للحصر^{٥٣}.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الممتعة مع تفسير (من هدى القرآن) توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- ١- فن الكناية لم يقل أهمية عند السيد المدرسي من باقي فنون البلاغة في تفسير (من هدى القرآن) إذ كان له إيرادات متعددة في مواطن مختلفة.
- ٢- يؤتى بالفن البلاغي للوصول إلى معانٍ أخرى في التفسير، فالفنون البلاغية في التفسير وسيلة وليست غايةً.
- ٣- في هذا الفن - نعني الكناية - كانت للسيد المدرسي استقلالية شبه تامة عن التفاسير الأخرى، شبه تامة عن التفاسير الأخرى في تحديد مواطن الكناية .
- ٤- لم يذكر تقسيمات الكناية كما في كتب البلاغة مثل: الكناية عن الموصوف، الكناية عن الصفة، الكناية عن النسبة، ولكنه ذكرها بشكل عام، وكان التحديد والتقسيم من الباحث، وهذا من خلال الاستقراء للنصوص الواردة فيه.
- ٥- استعمل السيد المدرسي في بعض المواضع تفسير القرآن بالقرآن، وذلك من خلال تفسير الآية المباركة بآية أخرى، وتارة يفسر الآية بالرواية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام وتارة أخرى باللغة، ومن خلال ذلك يحدد الغرض من الكناية.
- ٦- لم نذكر جميع مواطن الكناية في البحث، لأن ذلك يطول المقام فيه، إذ ذكرنا بعضاً منها وأشارنا إلى المواضع الأخرى في الهامش برقم الأجزاء والصفحات للاستزادة والاطلاع.

هوامش البحث:

- (١) كتاب العين، مادة (كن): ٢٨٢ / ٥.
- (٢) معجم مقاييس اللغة مادة (كنى): ١٣٩ / ٥.
- (٣) ينظر: لسان العرب مادة (كنى): ١٥ / ٢٣٣.
- (٤) اثر القرآن في تطور النقد العربي: ٥٥.
- (٥) ينظر: البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق، د. محمد بركات حمدي ابو علي: ١٢٨.
- (٦) جامع البيان في تفسير القرآن: ٩٨ / ٢، وينظر: ٦٥ / ٥.
- (٧) معاني القرآن، الفراء: ٢٦٦ / ٣.
- (٨) ينظر: مجاز القرآن: ٨٣ / ٢، وينظر: اثر القرآن في تطور النقد العربي: ٤٧-٤٨.
- (٩) البيان والتبيين: ٧ / ٢.
- (١٠) البيان والتبيين: ١ / ٢٦٣.
- (١١) ينظر: البديع: ٦٤.
- (١٢) نقد النثر: ٥٠.
- (١٣) الكشف: ٢ / ٢٧٠.
- (١٤) ينظر: البلاغة عند السكاكي: ٣٢٠.
- (١٥) الإيضاح: ٣١٣.
- (١٦) ينظر: شروح التلخيص: ٣ / ٢٣٥، المطول: ٦٤٠.
- (١٧) الكناية في البلاغة العربية، د. بشير كحيل، ميدان الاوبرا - القاهرة - ط ١ - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م: ١١٠، يُنظر: اساليب البيان في القرآن: ٧٠٧ وما بعدها.
- (١٨) مواهب الرحمن: ٨٧ / ٥.
- (١٩) ينظر: مواهب الرحمن: ٧ / ٨٣، ٣ / ٢٥٨، ٤ / ٧١، ١٣ / ٣٧٧.
- (٢٠) من بلاغة القرآن: ١٧٣.
- (٢١) أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، الصغير: ١٤٦.
- (٢٢) ينظر: دلائل الاعجاز: ٢٣٦، مفتاح العلوم: ٦٣٩.
- (٢٣) من هدى القرآن: ٤ / ١٢٢.
- (٢٤) المصدر نفسه: ٨ / ١٠٠.
- (٢٥) من هدى القرآن: ١١ / ٣٤٧.
- (٢٦) المصدر نفسه: ١١ / ٣٦٠.
- (٢٧) من هدى القرآن: ١١ / ٤١١.
- (*) تفسير القمي: ٢ / ٣٤٣، بحار الأنوار: ٧ / ١٢٠.

- (٢٨) من هدى القرآن: ١١ / ٤١٥ .
- (٢٩) من هدى القرآن: ١١ / ٤٤٧ .
- (٣٠) المصدر نفسه: ١١ / ٤٤٨ .
- (٣١) للاستزادة: يُنظر: من هدى القرآن: ١١ / ٤٤٨، ١٢ / ١١٠ - ١٢١ - ١٨١ - ٣٤٨. إشارات السيد المدرسي إلى مواضع الكناية عن الموصوف، للاطلاع.
- (٣٢) ينظر: مفتاح العلوم: / ١٨٩، الإيضاح / ٤٥٧ .
- (٣٣) من هدى القرآن: ٤ / ٤٢٦ .
- (٣٤) المصدر نفسه: ٥ / ٣٨٥ .
- (٣٥) من هدى القرآن: ٥ / ٣٨٦ .
- (٣٦) المصدر نفسه: ٥ / ٤٧٤ .
- (٣٧) من هدى القرآن: ٧ / ١٤٣ .
- (٣٨) يُنظر: منهج المدونة المغلقة، الأستاذ الدكتور حسن عبد الغني الأسدي، دار الرافد، قم، إيران، ط١، ٢٠١٧م: ١٥-١٧ .
- (٣٩) من هدى القرآن: ٩ / ٢١٠ .
- (٤٠) من هدى القرآن: ١٠ / ٤١٩ - ٤٢٠ .
- (٤١) المصدر نفسه: ١١ / ١٢٢ .
- (٤٢) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ١٨ .
- (٤٣) من هدى القرآن: ١١ / ٢٦١ .
- (٤٤) المصدر نفسه: ١١ / ٣٥١ .
- (٤٥) للاستزادة: يُنظر: من هدى القرآن: ١١ / ٤٤٤، ١٢ / ١٢٣ - ٣٢٣ .
- (٤٦) ينظر: دلائل الاعجاز: ٢٣٧، مفتاح العلوم: ٦٤٣ .
- (٤٧) من هدى القرآن: ٦ / ٣٣٢ .
- (٤٨) المصدر نفسه: ٨ / ٨٨ .
- (٤٩) من هدى القرآن: ٨ / ١٢٣ .
- (٥٠) المصدر نفسه: ٩ / ٢١١ .
- (٥١) من هدى القرآن: ١٠ / ٢٠٤ .
- (٥٢) من هدى القرآن: ١١ / ١٦٧ .
- (٥٣) يُنظر: المصدر نفسه: ١٠ / ٢٣٤، ١١ / ٢٧٣ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٤١٥ .

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ✽ أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط ١، (د.ت).
- ✽ أساليب البيان في القرآن: سيد جعفر الحسيني، مؤسسة الطباعة والنشر (طهران)، ط ١، ذو القعدة ١٤١٣هـ.
- ✽ أصول البيان العربي، رؤية بلاغية معاصرة: د. محمد حسين علي الصغير، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.
- ✽ الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني ت (٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر الفاطمي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- ✽ البديع، عبد الله ابن المعتز، (ت ٤٩٦هـ)، نشر وتعليق: افناطيوس كراتشكوفسكي، مطابع دار الشعب، القاهرة، ط ١، ١٩٦٥م.
- ✽ البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق، د. محمد بركات حمدي أبو علي، دار وائل للنشر، ط ١، ٢٠٠٣م.
- ✽ البلاغة عند السكاكي، د. احمد مطلوب، (منشورات مكتبة النهضة بغداد)، ط ١، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- ✽ البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت (٢٥٥ هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٥، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ✽ الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري ت (٥٣٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٩٩٨م.
- ✽ الكناية في البلاغة العربية، د. بشير كحيل، ميدان الاوبرا- القاهرة - ط ١ - ١٤٢٥ هـ.
- ✽ المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني ت (٧٩٢هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٣٣هـ-٢٠١١م.
- ✽ بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي ت (١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٥، ١٩٨٨م.
- ✽ تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي ت (٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق: العلامة السيد طيب الموسوي، منشورات دار الهدى، مؤسسة دار الكتاب، قم، ط ٣، ١٤٠٤هـ.
- ✽ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ت (٤٧١هـ)، تعليق، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٢م.
- ✽ شروح التلخيص: سعد الدين التفتازاني مختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، ومواهب الفتح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي ت (١١٢٨هـ)، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ت (٧٧٣هـ). وقد وضع بهامشه كتاب الإيضاح للقزويني، طبع بمطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه بمصر، ١٩٣٧م.
- ✽ كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ت (١٧٥هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، د.ط، ١٩٨١م.

- ✽ لسان العرب، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم المعروف بابن منظور ت (٧١١هـ)، حققه وعلّق عليه، ووضع حواشيه: عامر احمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ✽ مجاز القرآن، معمر بن المثنى أبو عبيدة ت (٢١٠هـ)، عارضه بأصوله وعلّق عليه: د. محمد فؤاد سركين، نشر مطبعة سامي الخانجي المكتبي، مطبعة السعادة، مصر، ط ١، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- ✽ مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ ت (٥٤٨هـ)، طبعة جديدة منقّحة، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ✽ معاني القرآن، أبو زكريا يحيى ابن زياد الفراء ت (٢٠٧هـ) تحقيق د. محمد علي النجار، واحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠م.
- ✽ معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس ت (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ✽ مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ت (٦٢٦هـ)، حققه وقدم له وفهرسه: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ✽ من بلاغة القرآن، أحمد احمد بدوي، مكتبة النهضة، مصر - القاهرة، ١٩٥٠.
- ✽ من هدى القرآن، السيد محمد تقّي المدرسي، دار القارئ، بيروت، لبنان، ط ٢، ٢٠٠٨م.
- ✽ منهج المدونة المغلقة، الأستاذ الدكتور حسن عبد الغني الأسدي، دار الرافد، قم، إيران، ط ١، ٢٠١٧م.
- ✽ مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري ت (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، دار التفسير، مطبعة شريعت، ايران، ط ٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ✽ نقد النشر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: طه حسين، وعبد الحميد العبادي، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٥١هـ - ١٩٣٣م.
- ✽ نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام، جمع: الشريف الرضي ت (٤٠٦هـ)، شرح: الشيخ محمد عبدة، مؤسسة المختار، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٨م.